اتجاهات البحث الصوتي في علم اللغة الحديث

د. سهير كاظم حسن

كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة البصرة

المقدّمة

كان البحث الصوتي في بدايته بسيطاً، اذ يتناول الأصوات اللغوية بشكل وصفي نظري ، يعتمد على الملاحظة المحدودة ، لأنّه يقتصر على مايمكن رؤيته من أعضاء النطق ، اذ يقوم العالم بتسجيل الأصوات اللغوية ويحدّد مخارجها وصفاتها مع تسجيل بعض الظواهر الصوتية المختلفة.

وبعد تطور العلوم المختلفة واكتشاف الأجهزة في العصر الحديث ، تحوّل البحث الصوتي من المنهج الوصفي النظري الى منهج الوصفي التجريبي والعملي ، الذي يأخذ نتائجه مما يُنطَق به في الواقع ومما يكتشفه الباحث بوساطة التجارب العلمية ، لذلك تنوّعت الدراسات الصوتية بتنوّع المادة الصوتية المدروسة ، وبتنوّع طرق البحث فيها .

والهدف من هذه الدراسة هو توضيح أنواع واتجاهات البحث الصوتي ، سواء من حيث المادة الصوتية المدروسة (أي البحث في الصوت اللغوي من حيث أنّه مجرد أو مركّب في سياق صوتي في الكلمة أو الجملة) ،أو من حيث طريقة البحث (أي من حيث دراسة الأصوات اللغوية دراسة تاريخية أو مقارنة وصفية أو جغرافية ..الخ) ، لاسيّما بعد الخلط الذي حصل في كلمة (فونوتيكا phonetics) وماتعنيه من دراسة وصفية في بعض الأحيان أو دراسة الصوت اللغوي مجرّداً في أحيانٍ أخرى . وكذلك الخلط الذي حصل في كلمة (فونولوجيا phonology) وماتعنيه من دراسة تايخية أحياناً أو دراسة تشكيل الصوت اللغوي في سياق لغوي معيّن .

وقد تناول البحث تعريف اللغة ووضّح عناصرها ، مع نبذة مختصرة توضّح كيفية التدرج في دراسة اللغة في العصر الحديث والبحث فيها حتى وصلوا الى دراستها دراسة علمية ، لنوضّح بعد ذلك ماتمثله دراسة الأصوات اللغوية في علم اللغة الحديث ، مع بيان أهم مناهج البحث في علم اللغة بصورة عامة ، ومناهج البحث في علم الأصوات بشكل خاص .ثم تناولنا علم الأصوات اللغوية بفرعيه الفوناتيكي والفونولوجي ،واتجاهات البحث فيه ، فعرضنا لأهم وجهات النظر في العلاقة بين هذين الفرعين ، ذاكرين آراء أهم المدارس اللغوية مثل

مدرسة براغ والمدرسة الإنكليزية والمدرسة الأمريكية والمدرسة التوليدية . ثم ختمنا بلخص للبحث .. والله وليّ التوفيق

علم اللغة الحديث

تعدّ اللغة وسيلة تواصل بين الناس، تعمل على نقل أفكارهم باستعمال الكلام، فتقوم بوظيفة الجمع بين مضمون الفكر، وبين ما يمثلها من الأصوات اللغوية، التي تستعمل للتعبير عن هذه الأفكار[١].

وعرّف ابن جني اللغة بقوله: ((أمّا حدّها فإنّها أصوات يعبّر بها القوم عن أغراضهم))[٢]. وهذا التعريف يوضح الطبيعة الصوتية والطبيعة الإجتماعية للغة، وهما طبيعتان أكدّهما البحث اللغوي الحديث. فمن حيث الطبيعة الصوتية يمثل الصوت الصورة الحية لها، فاللغة التي لا تنطق لغة ميتة لا وجود لها. ومن حيث الطبيعة الإجتماعية فإنّ البحث اللغوي الحديث ينظر للغة بوصفها مؤسسة اجتماعية مبنية على أساس استعمال الكلام لتبليغ الأفكار، فلا وجود للغة مستعملة، دون أن تؤدي وظيفة نقل الأفكار بين أبناء البشر الذين يعيشون في مجتمع معيّن.

وقد تعامل الإنسان باللغة لآلاف السنين قبل أن يكتبها، فكان إما منتجاً للأصوات، أو متلقياً لها. وبعد مرحلة طويلة بدأت المحاولة الأولى لتدوين هذه اللغة المنطوقة المسموعة، لتصبح شيئاً مقروءاً&، فجعلوا لكل صوت منطوق رمزاً خاصاً في الكتابة، فلا يعبّر هذا الرمز عن صوت آخر، ولهذا وُصِفت الكتابة بأنّها مجرد محاولات تقريبية لتسجيل الواقع الصوتي للغات، قديماً وحديثاً[٣]، ولما كانت الكتابة تمثل هيئة هذه الصور

الصوتية، فإنّها دخلت ضمن النشاط اللغوي، فلفظ اللغة يُطلَق على ما تراه العين من أشكال ورموز مكتوبة، ويقصد بذلك الحروف، التي هي رموز للأصوات، غير أنّ الأصوات تُنطَق، والحروف (الرموز) تُكتَب[٤].

أمّا دراسة اللغة على نحو علميّ، فهو من اختصاص علم اللغة، العلم الذي يتخذ اللغة موضوعاً له، فلا يختص ببحث لغة واحدة، مثل اللغة العربية، بل يهتم بكل اللغات التي يتحدث بها البشر، لأنّه يبحث في اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها[٥]، معتمداً على الواقع الحي المنطوق، فيقدم وصفاً كاملاً واضحاً ومحدداً، ويساعد بذلك على بيان وظائف اللغة المختلفة، على أساس اشتراك اللغات في جملة من الحقائق، أولها الحقيقة الصوتية، والطبيعة الإجتماعية للغات.

وساهمت الكتابة في حفظ بعض اللغات القديمة، في شكل نصوص مكتوبة، تدلّ على ثقافة معيّنة، وكانت الحاجة لفهم هذه النصوص هي العامل في تطوير الدراسات النحوية في الهند القديمة والإسكندرية في القرن الثالث قبل الميلاد. فقد كانت هناك شروح نحوية حول السنسكريتية (لغة الهنود المقدّسة)، وكان هناك نشاط علماء اللاهوت والمعجميين والشرّاح، لتفسير نصوصها[6].

وكان تمثيل أصوات اللغة بالكتابة مصدر غموض وتداخل بين الحقيقة الصوتية والعلامة الكتابية، التي تسمى قديماً عند الإغريق نحواً، ويقصد بالنحو عندهم ((فن أو علم استعمال الحروف))[7].

وساهم التطور الحاصل في دراسة النصوص الموروثة من القديم، في تأسيس فقه اللغة (الفيلولوجيا) في القرن الثامن عشر، على يد أوغست وولف. وكان اهتمام الفيلولوجيا منصباً على دراسة النصوص القديمة، فيوثقها وينشرها ويعلّق عليها. ومهّدت هذه البحوث الفيلولوجية لعلم اللغة التاريخي، في بداية القرن التاسع عشر[8].

وتمكّن بعض الباحثين من المقارنة بين لغات معروفة، فأدّى ذلك الى ظهور (فقه اللغة المقارن). وانطلاقاً من النظرة الى أنّ بعض اللغات تنحدر من أصل واحد، تمّ القيام بمقارنات بين لغات معروفة في القرن التاسع عشر، وأدّى ذلك الى ظهور منهج البحث المقارن، الذي يهدف الى تحديد درجات القرابة والتقارب بين اللغات، من خلال وصف هذه اللغات، والبحث في تاريخها، مع تقديم تفسير للتطورات اللغوية وأسبابها[9]. وسيطرت الدراسات اللغوية المقارنة في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

وكان البحث اللغوي يعاني من الخلط المنهجي، حتى جاء دي سوسير، الذي رأى أنّ اللغة حقيقة اجتماعية تخضع للتحليل العلمي. وفي عام ١٩١٦م أظهرت محاضرات دي سوسير- التي نشرها تلاميذه- أهمية الفصل القاطع بين اللغة من حيث هي نظام مستقر، وبين اللغة من حيث هي تغير لغوي، وبيّن دي سوسير بوضوح أنّ كل دراسة من هاتين الدراستين، لا بد أن يكون لها منهجها الخاص بها[10]. وصارالبحث اللغوي يدرس اللغة دراسة علمية، تتمثل في وصف الوقائع اللغوية التي يمكن ملاحظتها، ويهدف هذا البحث الوصفي الى وصف كل اللغات التي يمكن أن يطالها البحث[11].

وارتبط علم اللغة بعلوم أخرى، مثل علم النفس، وعلم التشريح، وعلم الفيزياء، وغيرها من العلوم. فاللغة بوصفها ذات طبيعة اجتماعية تبنى على أساس استعمال الكلام لتبليغ الأفكار، فترتبط بالنشاط النفسي وعندئذ تدخل في موضوع علم النفس، وبذلك تأسس علم اللغة النفسي، الذي يكشف عن أمراض الكلام، أو أمراض النطق، مثل الحبسةوالتأتأة، وغيرها من عيوب النطق والكلام[12].

وتفترض اللغة نشاط بعض أعضاء الإنسان، فارتبطت بعلم التشريح وعلم وظائف الأعضاء. وما يوضح العلاقة بين اللغة وبين هذه العلوم، هو علم الأصوات اللغوية، بكل أنواعه: علم الأصوات النطقي، وعلم الأصوات السمعي، وعلم الأصوات الأكوستيكي.

ثم انشغل البحث الوصفي بتنوعات اللغة، لأنّ اللغة ليست مجموعة متجانسة، بل هناك أشكال مختلفة من هذه اللغة، تتميز هذه الأشكال ببعض الفروق التي تمسّ كل جوانب اللغة، في النطق، وفي تشكيل المفردات، وفي النحو. ويطلق على هذه الأشكال المختلفة والتنوعات المحلية اسم اللهجات، وهي ((مجموعة من الأداءات المحلية الموحدة بواسطة سمات مشتركة تمكّن مستعمليها من التفاهم بشكل مُرْضٍ نسبياً)) [13]. وتظهر هذه الفروق اللغوية عند الإنتقال من بلد الى آخر، أو من منطقة الى أخرى. وقد حرص اللغويون في القرن العشرين على تحديد الفروق المحلية، فأدى ذلك الى نشوء الجغرافيا اللغوية، وشرعوا في انجاز الخرائط اللغوية في بلاد عديدة[14].

وبهذا نجد أنّ علم اللغة الحديث عرف- منذ نشأته في القرن التاسع عشر الى يومنا هذا – أكثر من منهج- أهمها:

١- المنهج التاريخي: ويبحث التغيرات التاريخية للغة عبر العصور.

٢- المنهج المقارن: ويبحث في اللغات التي تنحدر من أصل واحد، بهدف تحديد درجة القرابة والتقارب بينها، فيصف هذه اللغات، ويبحث في تاريخها.

٣- المنهج الوصفي: ويتناول بالدراسة لغة واحدة، أو لهجة واحدة، في زمن محدّد ومكان محدّد، فيصف هذه اللغة على مستوى الأصوات، ومستوى الصرف، ومستوى النحو، ومستوى الدلالة.

٤- منهج الجغرافيا اللغوية: ويبحث في تنوّعات اللغة الواحدة، ويعمل على تحديد الفروق المحلية، ويستعين هذا المنهج برسم الخرائط، لتوضيح الظاهرة اللغوية ومجال انتشارها.

وتعدّ المناهج الثلاثة الأولى مناهج بحث نظرية، أمّا الجغرافيا اللغوية، فهي منهج تطبيقي[15].

عناصر اللغة

لما كانت اللغة أصوات يعبر بها الناس عن أفكارهم، فإنّ اللغة في ذاتها تتكوّن من عناصر داخلية، تتوزع على عدّة مستويات:

١- المستوى الصوتي: ويقصد به النظام الصوتي الخاص بلغة معيّنة، ويقسم البحث فيه على قسمين:

الأول: يهتم بدراسة الأصوات اللغوية مجرّدة عن السياق، ويختص بذلك (علم الأصوات العام Phonetics).
الثاني: يهتم بدراسة الأصوات اللغوية في سياقاتها، ويختص بهذه الدراسة (علم التشكيل الصوتيPhonology)
.
وهذان العلمان يكوّنان مع بعضهما (علم الأصوات)، وهو فرع من فروع علم اللغة العام[16].

٢- المستوى الصرفي: ويقصد به البنية، واشتقاق الكلمات وتصريفها، ويختص (علم الصرف) بالبحث في هذا الموضوع، فيتناول القواعد المتصلة بالصيغ، وتغيير الأبنية للدلالة على معانٍ مختلفة[17].

٣- المستوى النحوي: أي نظام الجملة وتركيبها، وترتيب أجزاء الجملة، والقواعد الخاصة بهذا الترتيب، وعلاقة كل جزء من الجملة بالآخر، وتأثيره فيه. والبحث في هذا المستوى يخص (علم النحو)[18].

٤- المستوى الدلالي: أي دلالة الألفاظ ومعاني المفردات، ويختص (علم الدلالة) بالبحث في هذا المستوى، فيتناول المعاني الحقيقية ، والمعاني المجازية، والتطور الدلالي للألفاظ، وأسبابه، ونتائجه. ويبحث أيضاً في نشوء الترادف والإشتراك اللفظي والأضداد. ويدرس حياة الكلمة عبر العصور اللغوية المختلفة، وما ينتابها من تغيّرفي الدلالة، والأسباب التي تعمل على رقيّ الكلمة أو انحطاطها، وأسباب اندثار الكلمة[19].

علـم الأصـواتواتجـاهـات البحـث الصـوتي

تمثل الأصوات الجانب المادي للغة، ويعرف هذا الجانب المادي بأنّه تنسيق بين الأصوات الناتجة عموماً عن اهتزاز الهواء القادم من الرئتين أثناء عملية التنفس[20]. وعملية اصدار الأصوات تكون منظمة ومحددّة بعوامل متعددة، تحدّد بعض الصفات التي تميّز أصواتاً عن غيرها. وحين تتجمع هذه الأصوات في كلمات، فإنّها تكون عناصر مكوّنة لمدارج منظومة، وتكون هذه الأصوات مرتبطة مع بعضها داخل الكلمة، ويكون تحقيق كل صوت مشروط جزئياً بطبيعة الأصوات المجاورة[21]. لذلك فإنّ أهم ما تبدأ به الدراسات اللغوية الحديثة، هو دراسة الأصوات اللغوية، لأنّ الأصوات اللغوية هي الأساس الذي يقوم عليه بناء المفردات والصيغ والتراكيب الخاصة بِلُـغة معينة.

وعلم الأصوات، أحد فروع علم اللغة، هو الذي يبحث في النظام الصوتي الخاص بِلُـغة معيّنة، أو الأصوات اللغوية المكوّنة لكلام أفراد جماعة لغوية، فيبحث في اصدارها، وانتقالها- واستقبالها. فضلاً عن ذلك فإنّ علم الأصوات يبحث في القوانين التي تحكم الأصوات عند تشكيلها في نسق صوتي، ويبحث في النظام العاملأداء اللغة في شكله الطبيعي. ولذلك فإنّ علم الأصوات يُـقسم على فرعين:

الأول: علم الأصوات اللغوية (Phonetics) فيبحث في الأصوات من حيث أنّها أحداث منطوقة بالفعل ، ويتناولها باعتبارها وحدات مجردة منعزلة عن سياقها ، فيهتم بمعرفة خواص هذه الأصوات من حيث كيفية نطقها ومخارجها وصفاتها المختلفة ، دون ربط الصوت بالمعنى .

الثاني: علم التشكيل الصوتي (Phonology) الذي يبحث في الصوت باعتباره وحدة في نسق صوتي ، فيربط بين الصوت وطرق تشكيله ووظائفه .

وقد عرّب الدكتور كمال بشر هذين الفرعين لعلم الأصوات، فكان اسم الأول الفونيتيكا، واسم الثاني الفونولوجيا[22]. وكان للعلماء آراء في تفسير هذين العلمين، وآراء في العلاقة بينهما.

وجهات النظر في العلاقة بين فرعي علم الأصوات

على الرغم من أنّ الفصل بين العلمين phonetics و phonology أمر شاق وعسير، لأنّ مباحثهما متداخلة ومتشابكة، إلاّ أنّ هناك محاولات للتفريق بين العلمين. فقد رأى (بودوان دي كورتيني) ضرورة وجود فرعين مستقلّين لعلم الأصوات، لدراسة جانبي الصوت، احدهما ينبني على أُسس فيزيائية وفسيولوجية، ويكون موضوع البحث فيه الأصوات المادية ، وهذا الفرع هو physio-phonetics ، ويسمّى بـــ(علم الأصوات العضوي).

والثاني يعتمد على قواعد علم النفس، ووظيفته دراسة الصور الذهنية للأصوات، ومالها من وظائف وقيم في اللغة ، وهذا الفرع هو psycho-phonetics ، ويسمى بـــ(علم الأصوات النفسي) [23]. وهذه الصور الذهنية أطلق عليها مصطلح (الفونيم) phoneme[24].

ومن الملفت للنظر أنّ دي سوسير الذي بُني على آرائـه أساس الفصل بين علميالأصوات.كان عنده الفوناتيك علم تاريخي، يبحث في تطوّر الأصوات ، وهو فرع أساس من فروع علم اللغة. أما الفونولوجيا فيدرس الأصوات من الناحية العضوية، فيبحث في مخارجها وصفاتها ، وميكانيكية النطق، وهو علم مساعد يختص بالكلام فقط[25] ،وكان تعليله لذلك أنّ ((علم الفوناتيك أول ما استخدم للدلالة على دراسة تطور الأصوات ، وينبغي أن يبقى ضمن هذا المفهوم. فلا يجوز المزج بين علمين متميزين باستخدام تسمية واحدة لكليهما[26])).

وقد تعدّدت وجهات النظر في العلاقة بين فرعي علم الأصوات، وفي حدود كلّ فرع منهما ، ومدى استقلاله عن الآخر. وأهمّ وجهات النظر في هذا الموضوع، يمكن معرفتها من خلال المدارس الوصفية الآتية :

١- مدرسة براغ : وهو إسم لجماعة من اللغويين، منهم : ياكوبسن ، وروس براغ ، ونيكولاي تروبتزكوي. وطبقّت هذه المدرسة مبادئ النظرية البنيوية، التي مهّد الطريق لها دي سوسير ، فكانت آراؤه في التفريق بين اللغة والكلام تعدّ المنطق الأساس الذي جعلهم يفرّقون بين فرعي علم الأصوات الفوناتيك والفونولوجيا[27] . فعلم الفوناتيك عند مدرسة براغ يبحث في الأصوات المنطوقة بالفعل في الكلام ، فينظر في حركات أعضاء النطق وأوضاعها، ويلاحظ الذبذبات الهوائية الناتجة مباشرة عن هذه الحركات والأوضاع. أما الفونولوجيا فهو يهتم بدراسة الفونيم، وهو الصوت الذي يقوم بوظيفة محدّدة في اللغة. وتعدّ الفونيمات عناصر مكوّنة للمعنى اللغوي، وهي عناصر عقلية، غير مادية[28].

وخالف تروبتزوي دي سوسير، في عدّه الدراسة التاريخية الفونولوجية تلحظ الوقائع المعزولة فقط، وذهب الى أنّ الفونولوجيا التاريخية يجب أن تدرس النظام الفونولوجي على أنّه كيان عضوي في حالة تطوّر ، لكي يصبح للتغيـراتالتاريخية معنىَ ومبرّر للوجود[29].

والباحث الفوناتيكي يجري وراء الأحداث المنطوقة فعلاً ، فيلاحظ مصدرها ، وهي أعضاء النطق ، ويدرس وظيفة كل عضو بصورة تفصيلية ، وكيفية نطق الصوت، ومخرجه، وصفاته ، فالفوناتيك يهتم بما ينطق الإنسان في الواقع عندما يتكلّم ، أما الباحث الفونولوجي فيهتم بما يظنّ أو يتصور أنّ الإنسان ينطقه، ويبحث في العناصر المكوّنة للمعنى اللغوي[30] .

ومن هذه المدرسـة مَن لم يفضّل الفصل بين علمي الفوناتيك والفونولوجيا ، مثل (ترانكا) الذي رأى أنّ الدراسة الصوتية تبدأ من الصورة الصوتية، وتتدرّج في طريقها حتى تصل الى القوانين المجرّدة ، فإنها عندئذ تجد نفسها في مجال الفونولوجيا[31].

وأصبح الإتجاه السائد في هذه المدرسة هو العمل على التقريب بين هذين الفرعين بصورة نظرية وتطبيقية ، حتى صار مصطلح (علم الأصوات) يشير الى الفوناتيك والفونولوجيا معاً دون تحديد أو تمييز بين الفرعين. ولكن إذا أُريد دراسة الجانب الوظيفي للأصوات ووضع القوانين العامة لها، ففي هذه الحالة ، يطلق على الدراسة إسم الفونولوجيا[32].

٢- المدرسة الإنكليزية : مؤسس هذه المدرسة هو العالم اللغوي فيرث. وفيها نجد البحث الصوتي – الوصفي – يشمل كلّاً من الفوناتيك والفونولوجيا. فلم يخصّصوا نظاماً لدراسة الأصوات دراسة فسيولوجية عضوية ، ونظاماً آخر مستقلاً يبحث في الجانب الوظيفي للأصوات، وتشكيلها في التركيب والسلسلة الصوتية ، بل

بحثوا في علم الأصوات بصورة عامة، دون تمييز بين فرعيه المادّي وغير المادّي. وأكدّ فيرث ومن ينتمي الى مدرسته على قوّة الإتصال بين الفرعين، وأنّ أحدهما مكمّل للآخر[33].

والفوناتيك في المدرسة الإنكليزية يشمل البحث الصوتي في النظام الفسيولوجي العضوي، ودراسة الأصوات من حيث وظائفها وقيمتها في التركيب الصوتي. أمّا الفونولوجيا فيقصد به الدراسة التاريخية للأصوات، وهو علم تاريخي يمكن تسميته علم قواعد الأصوات ورموز الكتابة[34].

٣- المدرسة الأمريكية : ولها أكثر من وجهة نظر في العلاقة بين الفوناتيك والفونولوجيا ، وكل وجهة نظر لها مرحلة معينة. ففي بدايات نشأة هذه المدرسة كان مصطلح الفونولوجيا يدلّ على الدراسة التاريخية للأصوات. والفوناتيك يدلّ على دراسة الصوت دراسة عامة ، تشمل الدراسة الفسيولوجية العضوية ، ودراسة الأصوات من حيث وظائفها وطرق تشكيلها في السلسلة الكلامية. أي أنّ أصحاب هذه المدرسة ساروا على نهج المدرسة الإنكليزية في دراسة الأصوات[35] .

ثم تقدّمت الدراسة الصوتية ، فكانت المرحلة الثانية في هذه المدرسة، وكان من أبرز أعلامها بلومفيلد، الذي رأى أنّ الفوناتيك يطلق على الجانب المادّي للأصوات ، فيبحث في نطق الأصوات والآثار السمعية الناتجة عنها. أما الجانب غير المادي في الدراسة الصوتية فيطلق عليه الفونيم، وهو الوحدة الصوتية ذات العنصر المميز ، أو بمعنى آخر هو الصوت الذي يقوم بوظيفة محددة في اللغة[36]. وكان مايدرسه الأمريكيون تحت عنوان الفونيم، يكاد يتفق مع مايبحثه غيرهم في الفونولوجيا في تلك الفترة الزمنية. ورأوا أنَّ الفوناتيك والفونيم منهجان يدخلان ضمن إطار علم اللغة العام.

ورأى بلومفيلد أنّ الأصوات يمكن تناولها بثلاث طرق[37]:

١- أن يصنّف الباحث الأصوات من جانبها المادّي ، فيقوم بتسجيل خواصها النطقية والفيزيائية. ويشمل هذا البحث فروع الفوناتيك الثلاثة: النطقي، والفيزيائي ، والسمعي.

٢- أن يتعرّف الباحث على الأنماط والوحدات المكوّنة للنظام الصوتي، بطريقة الخبرة والملاحظة الذاتية.

٣- البحث في الأصوات من حيث أنّها وحدات مميّزة للمعنى، وهذا مايطلق عليه بلومفيلد وبعض الأمريكيين بالفونيم ، وتارة أخرى يطلقون عليه اسم الفونولوجيا.

ثم جاءت المرحلة الثالثة وهي تحمل معها وجهة النظر الأخيرة في الدراسة الصوتية، فقُسِّمت على قسمين: أولهما اختصّ بالبحث في الفونيمات التركيبية، أي تبحث في الأصوات من حيث أنّها عناصر مكوّنةللتركيب الصوتي للغة. ويطلق على هذه الفونيمات بالفونيمات الأساسية ، أما ثانيهما فإختصّ بالبحث في الفونيمات غير التركيبية ، وتسمى بالفونيمات الثانوية أو الهامشية ، وهي تبحث في الظواهر الصوتية التي تنتمي الى التركيب كله، مثل النبر والتنغيم[38].

٤- المدرسة التوليدية : يُعدّ جومسكي الأب الحقيقي لعلم اللغة التوليدي[39]،وهذا العلم يرى أنّه يمكن لأية لغة أن تنتج عدداً غير نهائي من الجمل[40].لذلك فإنّ أصحاب هذه المدرسة توصّلوا الى نظرية صوتية تتماشى مع النظرية العامة للغة، التي تُعرف بـ(النحو التوليدي).

تحتاج النظرية الصوتية الى ثلاثة أهداف متباينة على الأقل ، ويمكن حصرها فيما يأتي[41] :

أ- دراسة أي نوع من الضجيج الذي يستطيع جهاز النطق إنتاجه ، وتشمل هذه الأصوات المكروهة اجتماعياً والموصوفة بالخشونة كالضحكات الهستيرية، وأصوات النحيب.

ب- دراسة الحد الأدنى من المجموعة (أ) ، فتشمل دراسة الأصوات التي تتميز بأنّها دالّة لغوياً في بعض اللغات ، وهذا يعني اقتصار الدراسة على الأصوات التي لها وظائف وقيم لغوية في لغات مختلفة.

ت- دراسة الحد الأدنى من المجموعة (ب) ، وهي تشمل على الأصوات المتميزة لغوياً في لغات معيّنة، أي اقتصار الدراسة على الأصوات التي لها وظائف وقيم لغوية في لغة معينة.

ورأى أصحاب المدرسة التوليدية أنّ الهدف الثاني (ب) هو الهدف الوحيد الذي يتصف بالمعقولية ، وينسجم مع الصوتيات الشاملة، إذ بوساطته يمكن وصف الأصوات المتميزة لغوياً في بعض اللغات، فضلاً عن استبعاد عدد كبير من الأصوات التي تتصف بالضجيج ، ولاتؤدي وظيفة في اللغة. ومن خلال تحقيق الهدف (ب) يمكن تحقيق (علم صوت عالمي)[42]

إنّ الدراسة الصوتية التوليدية تتفق مع المدارس الوصفية الأخرى في أنّها ترى أنّ الفونتيك والفونولوجيا يمثلان مستويين في نظام العرض الصوتي[43].غير أنّها تختلف عن المدارس الأخرى في أنّ الدراسة الفونولوجية تبدأ بالبنية العميقة ثم تصل الى البنية السطحية[44]. إنّ النظرية الصوتية التوليدية أريد بها أن تكون نظرية عامة عالمية ، يمكن من خلالها البحث في الأنظمة الصوتية للغات كافة[45].

مناهــج البحــث الصــوتــي :

تتنوّع دراسة الأصوات اللغوية، وتتنوّع طرق البحث فيها. ولما كان علم الأصوات قد قُسِّم على فرعين، كان هناك منهج بحث يختّص بكلّ فرع منهما، هما:

١- المنهج الفوناتيكي[46].

٢- منهج التشكيل الصوتي[47].

وبالنظر الى أنّ علم الأصوات هو أحد فروع علم اللغة الحديث، فإنّ مناهج البحث فيه هي:

١- المنهج التاريخي: ويقوم البحث فيهبتتبع الظاهرة الصوتية على مر العصور التاريخية، والتعرف على تطوّرها،وصور هذا التطوّر، وتفسير أسبابه. وقد يطلق على هذا المنهج اسم (الدراسة الصوتية التاريخية)[48]. مثال ذلك دراسة نطق صوت الجيم في اللغة العربية، وتطوره على مر العصور.

٢- المنهج الوصفي: ويبحث في أصوات اللغة، أو في الظاهرة الصوتية، في زمان ومكان محددّين. مثل وصف أصوات اللغة العربية الفصحى. أو وصف ظاهرة صوتية، مثل التفخيمفي العربية الفصحى. ويمكن أن يطلق على هذا المنهج الدراسة الصوتية التزامنية، أو الوصفية[49].

٣- المنهج المقارن[50]: ويقوم البحث فيه بدراسة الأصوات اللغوية، أو الظواهر الصوتية، أو كليهما معاً، في عدة لغات يفترض أنّها تنتمي الى أسرة لغوية واحدة. ويقوم الباحث بعمل مقارنة بين أصوات هذه اللغات، بهدف الكشف عن مدى التقارب بينهم، والكشف عن أقرب واحدة من هذه اللغات الى اللغة الأم. مثل دراسة الأصوات في اللغة السامية الأم واللغات المنحدرة عنها .

٤- منهج الجغرافيا اللغوية: وهو منهج يتتبع الظاهرة الصوتية في مناطق عديدة، بهدف معرفة مجال انتشارها. ويستعين برسم خرائط صوتية، توضّح التنوّع في نطق الصوت الواحد، في اللهجات المحلية، وأماكن

انتشار كل نطق لهذا الصوت. ومنهج (الجغرافيا اللغوية) هو أحد مناهج علم اللغة التطبيقية[51]. مثال ذلك دراسة نطق الجيم ياءاً في بعض دول الخليج .

الـخـاتـمـة

تنوّعت الدراسة الصوتيةفي العصر الحديث ،واتجهت اتجاهات مختلفة على الرغم من أنّها تبحث في موضوع واحد وهو الأصوات اللغوية . اذ نرى أنّه يمكن دراسة النحو أو الصرف في لغة ما، دراسة وصفية أو تاريخية أو مقارنة أو جغرافية ، أما الأصوات اللغوية فيمكن تقسيم البحث فيها على قسمين :

الأول : البحث فيها من حيث المادة الصوتية ، أي من حيث :

أ- دراسة الأصوات اللغوية مجردة عن السياق ، وهو مايُسمى عند بعض العلماء بعلم الأصوات (phonetics) ، وأطلق عليه بعض العلماء اسم (الفونيتيكا) .

ب- دراسة الصوت اللغوي مُشكّلاً أو مُركّباً في نسق لغوي معيّن ، وهو مايسمى عند بعض العلماء بعلم التشكيل الصوتي (phonology) ، وأطلق عليه بعض الباحثين اسم (الفونولوجيا).

وهنا رأى بعض العلماء والباحثين أنّ منهج البحث في الدراسة الصوتية يقسم على قسمين ، هما : ١- المنهج الفوناتيكي ، ٢- والمنهج الفونولوجي .

الثاني: ينظر الى كيفية تناول الدراسة الصوتية من حيث أنّها طولية أو عرضية ، باعتبار أنّ علم الأصوات اللغوية هو أحد فروع علم اللغة العام ، فيتناول الأصوات اللغوية - سواء أكانت مجردة أو مركّبة في سياق لغوي - يتناولها بطريقة معيّنة أو بحسب منهج معيّن ، مثل المنهج التاريخي ، أو المنهج المقارن ، أو المنهج الوصفي ، أو المنهج الجغرافي .

فـهـرس الـهـوامش

١- ينظر علم اللغة العام (دي سوسير) ٣٠
٢- الخصائص ٣٣/١
٣- ينظر مدخل الى علم اللغة (حجازي) ٢٩- و علم اللغة العام ٣٤
٤- ينظر في علم اللغة العام ٢٩
٥- ينظر المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ٧
٦- ينظر اللسانيات ٥ – وفي علم اللغة العام ١٤
٧- ينظر اللسانيات ٥ – وفي علم اللغة العام ١٤
٨- ينظر اللسايات ٥ – و في علم اللغة العام ١٤
٩- اللسانيات ٦
١٠- ينظر علم اللغة العام ١٠٨،١٠٧- وعلم اللغة (السعران) ٣٤٢
١١- ينظر اللسانيات ٧
١٢- ينظراللسانيات ٣٠
١٣- ينظر اللسانيات ١٦
١٤- ينظرعلم اللغة العام ٢١٤
١٥- ينظر العربية وعلم اللغة الحديث ١٠٥،١٠٦
١٦- ينظر المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ١٠،١١ – و في علم اللغة ١٠٢،١٠٣- وعلم اللغة (وافي) ٧- واللسانيات ٣٥
١٧- ينظر المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ١٠- و في علم اللغة ١٠٣- و علم اللغة (وافي) ٨،٩
١٨- ينظر المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي١٠ – و في علم اللغة (وافي)٩
١٩- ينظر المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي١٠ – و في علم اللغة ١٠٣
٢٠- ينظر في علم اللغة العام ١٠٥- واللسانيات ٣٥
٢١- ينظر في علم اللغة الععام ١٠٥- واللسانيات ٣٩
٢٢- ينظر علم الأصوات (بشر) ٦٥

٢٣-ينظر علم الأصوات (بشر) ٧٣
٢٤-ينظر مناهج البحث في اللغة (بارتشت) ٦٨،٦٩ – و علم الأصوات (بشر) ٧٤
٢٥-ينظر علم اللغة العام ٥١
٢٦-ينظر علم اللغة العام ٥١
٢٧-ينظر علم الأصوات (بشر) ٧٧- والإتجاهات النحوية لدى القدماء ٣٧
٢٨-ينظر مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم جومسكي ٢٦١ –والإتجاهات النحوية لدى القدماء ٣٨- و علم الأصوات (بشر) ٧٦
٢٩-ينظر الإتجاهات النحوية لدى القدماء ٣٨
٣٠-ينظر علم الأصوات (بشر) ٧٦،٧٧- والعربية وعلم اللغة الحديث ١٠٢،١٠٣
٣١-ينظر علم الأصوات (بشر) ٨٠،٨١
٣٢-ينظر علم الأصوات (بشر) ٨٣
٣٣-ينظر علم الأصوات (بشر) ٩١،٩٢،٩٣- والإتجاهات النحوية لدى القدماء ٤٣ – و دراسة الصوت اللغوي ١٦٦
٣٤-ينظر علم الأصوات (بشر)٩١،٩٢
٣٥-ينظر علم الأصوات (بشر) ٩٨
٣٦-ينظر علم الأصوات (بشر)٩٩- والإتجاهات النحوية لدى القدماء٣٨ –و دراسة الصوت اللغوي ١٦٩،١٧٠
٣٧-ينظر علم الأصوات (بشر) ١٠١،١٠٠
٣٨-ينظر النظام الصوتي التوليدي ٥- وعلم الأصوات (بشر) ١٠٢
٣٩-ينظر مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم جومسكي ٢٦٣- والنظام الصوتي التوليدي ١٠
٤٠-ينظر مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم جومسكي٢٧١- والمدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ١٨٨
٤١-ينظر النظام الصوتي التوليدي ٢١- و علم الأصوات (بشر) ١٠٨،١٠٩
٤٢-ينظر النظام الصوتي التوليدي ٢١
٤٣-ينظر النظام الصوتي التوليدي ٢١،٢٢
٤٤-ينظر المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ٢٧٨ – والنظام الصوتي التوليدي ١٧،١٨- وعلم الأصوات (بشر) ١١١
٤٥-ينظر النظام الصوتي التوليدي ٩
٤٦-ينظر مناهج البحث في اللغة ٥٩
٤٧-ينظر مناهج البحث في اللغة ٥٩
٤٨-ينظر علم الصوتيات ٢٥،٢٦ – والعربية وعلم اللغة الحديث ١٠٥
٤٩-ينظر علم الصوتيات ٢٦- والعربية وعلم اللغة الحديث ١٠٤،١٠٥
٥٠-ينظر علم الصوتيات ٢٦ – والعربية وعلم اللغة الحديث ١٠٥
٥١-ينظر العربية وعلم اللغة الحديث ٩٠

فـهـرس المصـادر

١- الإتجاهات النحوية لدى القدماء، دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة – د.حليمة عمايرة – دار وائل للنشر والتوزيع – عمّان – ط١ – ٢٠٠٥م

٢- الخصائص – صنعة أبي الفتح عثمان بن جني – تحقيق: محمد علي النجار – تقديم : عبد الحكيم راضي – طبع في مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب – ط٥ – ٢٠١٠م

٣- دراسة الصوت اللغوي – د.أحمد مختار عمر – طبع ونشر وتوزيع (عالم الكتب) – ط٤ – ١٤٢٧هـ =٢٠٠٦م

٤- العربية وعلم اللغة الحديث – د. محمد محمد داود- دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع – ٢٠١٠م

٥- علم الأصوات – د.كمال محمد بشر – دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع – ٢٠١٠م

٦- علم الصوتيات – د. عبد العزيز أحمد علام ، وعبد الله ربيع محمود – مكتبة الرّشد – المملكة السعودية – ١٤٣٠هـ =٢٠٠٩م

٧- علم اللغة – د.علي عبد الواحد وافي – نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة – ط٩ – ٢٠٠٤م

٨- علم اللغة العام – فريدنان دي سوسير- ترجمة : يوئيل يوسف عزيز – مراجعة النص بالعربية : د. مالك يوسف المطلبي – دار آفاق عربية – ١٩٨٥م

٩- علم اللغة ، مقدمة للقاريء العربي – د.محمود السعران – دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت – ٢٠٠٨م

١٠- في علم اللغة العام – د. عبد الصبور شاهين – مؤسسة الرسالة – ط٥ – ١٤٠٨هـ =١٩٨٨م

١١-اللسانيات – جان بيرو – ترجمة : الحواس بن مسعودي، ومفتاح بن عروس – دار الآفاق – ٢٠٠١م

١٢-مدخل الى علم اللغة – د. محمود فهمي حجازي – دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع – ١٩٩٧م

١٣-المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي – د. رمضان عبد التواب – نشرمكتبة الخانجي – القاهرة – ط٥ – ١٤٠٥هـ =١٩٨٥م

١٤- مناهج البحث في اللغة – د.تمام حسان – نشر مكتبة الإنجلو مصرية – القاهرة – ١٩٩٠م

١٥- مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم جومسكي – بريجيته بارتشت – ترجمة وتعليق : د. سعيد حسن بحيري – مؤسسة المختار للنشر والتوزيع – القاهرة – ط١ – ٢٠٠٤م

١٦- النظام الصوتي التوليدي – سانفورد سشان – ترجمة : نوزاد حسن أحمد – الدار العربية للموسوعات – ط١ -٢٠١٠م

Diversity of the (phonic study) trends

The (phonic study) varied in the modern era , and it took different directions , although it was searching in one subject which is (phonic study).

The phonic study can be divided into two parts:

First: The research in it terms of:

A – Study the sound as an abstract from the context, which the scientists call it (phonetics).

B – Study the sound as a composed in a linguistic format, which some scientists call it (phonology).

Second: The linguistic sounds study can be both a longitudinal and transverse study, where it studies the sounds as a historical study, descriptive, comparative or geographic.